وسائل القرآن الكريم الوقائية وقت الفتن والانحراف الفكري

اعداد : أ. م . د علاء حسين خلف

جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية

الحمد لله المتفرد بالقدرة ، والمتعزز بالعظمة، أحمده على السراء والضراء ، والعافية والبلاء ، حمدا طيبا مباركا فيه كما هو أهله ومستحقه وصلى الله على محمد خاتم رسله وخيرته من خلقه ، وعلى أهله أجمعين وسلم وشرف وكرم

أما بعد: فمعشر إخواننا المسلمين جعلنا الله وإياكم على النعم شاكرين، وعند البلوى والمحن صابرين فقد ظهر في وقتنا وفشا في زماننا من الفتن وتغيير الأحوال وفساد الدين ، واختلاف القلوب وإحياء البدع وإماتة السنن ، ما دل على انقراض الدنيا وزوالها، ومجيء الساعة واقترابها ، إذ كل ما قد تواتر من ذلك وتتابع وانتشر، وفشا وظهر، قد أعلمنا به نبينا صلى الله عليه وسلم وخوفناه وسمعه منه صحابته رضوان الله عليهم وأداه عنهم التابعون رحمة الله عليهم ونقله أئمتنا إلينا عن أسلافهم .

وقد عرف العلماء وقالوا الفتن: جمع فتنة. قال الرّاغب في أصل الفتن: – إدخال الذّهب في النّار لتظهر جودته من رداءته.

ويستعمل في إدخال الإنسان النّار، ويطلق على العذاب. كقوله تعالى: – {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} [الذّاريات ١٤] .

وعلى ما يحصل عند العذاب. كقوله تعالى: – {أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} ، [التّوبة، من الآية: ٤٩] .

وعلى الاختبار. كقوله تعالى: – {وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً} [طه، من الآية: ٤٠] .

وفيما يدفع إليه الإنسان من شدّة ورخاء، وفي الشّدة أظهر معنىً، وأكثر استعمالاً . قال تعالى : {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} ، [الأنبياء، من الآية: ٣٥] .

ومنه قوله تعالى: – {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ} ، [الإسراء، من الآية: ٧٣] ، أي : يوقعونك في بليّةٍ وشدّةٍ في صرفك عن العمل بما أوحي إليك.

وقال أيضاً: الفتنة تكون من الأفعال الصّادرة من الله، ومن العبد ، كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية، وغيرها من المكروهات؛ فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة. وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة، فقد ذمّ الله الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} ، [البقرة، من الآية: ١٩١] .

وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ، [البروج، من الآية: ١٠] .

وقوله: – {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} ، [الصّافات: ١٦٢] .

وقوله: {بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} ، [القلم: ٦] .

وكقوله: {وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ} ، [المائدة، من الآية: ٤٩] .

وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثمّ استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثمّ أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

قال النووي: "قال أهل اللغة: أصل الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان. قال القاضي: ثم صارت في عرف الكلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء. قال أبو زيد: فتن الرجل يفتن فتونًا: إذا وقع في الفتنة، وتحول من حال حسنة إلى سيئة".

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "وتطلق الفتنة على الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة، والبلية، والعذاب، والقتال، والتحول من الحسن إلى القبيح، والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر؛ كقوله تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} ".

أسباب الفتن

للفتن أسباب اذا ماتوفرت أطلت برأسها ، وأضفت بشؤمها ، والقت بثقلها ، وتشتت الصفوف وارتد ضعاف الإيمان ومن هذه الأسباب هي :

١. المؤامرات والمكائد من المؤتمرين : كم عانت الأمة الاسلامية من المفسدين ، أعداء المحبة والسلام ، فكم مؤامرة حكيت بظلام نشرا للخوف والرعب بين الناس ، وخير دليل ماحدث في غزوة الاحزاب من اليهود والمنافقين حينما

تعاونوا مع المشركين على إبادة المسلمين والتخلص منهم ، فحلت بالمسلمين شدة عظيمةٌ قال تعالى:ٌ(**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا** ً

٢. زرع العنصرية والتعصب : إن وجود العنصرية بين المسلمين والمفاخرة بالاصول العرفية من أبرز أسباب الفتنة ، وأشار الله في كتابة إلى ترك التفرقة بقوله **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** (الحجرات:١٠)ٌ

٣. الجهل : ويعتبر وقود تستمر به المشكلات والفتن باعتبار أن أسرع بالسقوط في الفتن ؛ لأن افئدتهم هواء ، واعتمادهم في حل المشكلات على خواء، فهم أهل للخرافة والعناد .

٤. الظلم : فحرمان الإنسان من حقوقه أو سلبها يولد كبتا في النفس البشرية يزداد بإزدياد الظلم حتى ينفجر بفتنة صماء.

٥. إختلال الموازين الاخلاقية : فعند اختلال الموازين الاخلاقيه المنبثقة عن المقاييس الشرعية ، فإن الناس يصبحون اوعية بلا معنى ، وأجسادا تحركها الشهوات ، وعقولا تملؤها الشبهات ، فلا الناس يسعون لنيل قيمة ، ولا المحافظة على مبدأ ، فتحركهم فتنهم.

الوسائل الوقائية من الفتن والانحراف الفكري القرآن الكريم

وذكر القران الكريم العديد من الأساليب الوقائية من الانحراف الفكري التي تجنب الفرد والاسرة والمجتمع من الانحراف الفكري ومنها:

١ولاً.التمسك بالكتاب والسنة:

من أهم وسائل الوقاية من الفتن والإنحراف الفكري الإلتزام بمرجعية واحدة يسير ورائها الفرد والجماعة ، وقد بينها الله في كتابه في كثير من الآيات منها قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات ١]**

أي "نهوا من الإقدام على أمر دون الإهتداء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى: لا تقطعوا أمرا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا عاملين بالوحي المنزل، او مقتدين برسول الله" (صلى الله عليه وآله وسلم } اً

قال تعالى :((وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)

ثانياً : الايمان بالله

الإيمان بمعنى التصديق، يقال أمن به قوم أي صدقوه، إن رعاية الله لعبده المؤمن في كل المجالات ومنها: حفظه من الوقوع في الأفكار المنحرفة، قال تعالى : **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** ﴿٢٥٧﴾

فهذه الآية دلت على أن من جاء بالإيمان الكامل فالله يتولاه فيخرجه من الظلمات فيصرفها عنه او يصرفه عنها ويثبته على النور وهو نور الإيمان.

ثالثاً: الاستقامة في طريق الدين:

الاستقامة هي لزوم الطريق المستقيم ، والانحراف الخروج عن الطريق قال تعالى : **(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**

والانحراف عن الدين أما أن يكون بالإفراط او التفريط، فالاستقامة تكون بالوقوف على حدود الله، وتجنب الحدود التي نهى عنها قال تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**

أي إتجه لله مستقيماً فهذا الدين هو العاصم من الأهواء التي لا تستند إلى علم، ومائلا عن كل ما عدا الدين، مستقيماً على نهيه، وان النفس إذا انحرفت عن الفطرة لم يردها إلا الدين، فمن يستقيم على دين الله ويلتزم بنهيه فيكون بذلك قد أطاع الله وأمِن من الانحراف عن طريق الحق.

رابعاً: طلب العلم من أهله:

من الوسائل المعينة على تحصين الفكر من الانحراف والفتن هي الحرص على أخذ العلم من أهله المعروفين برسوخ العلم وإستقامة المنهج والاعتدال في الفهم، فهؤلآء من يؤخذ عنهم العلم، قال تعالى :**(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾**

، أي ينبغي للمسلمين إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة أن لا يتعجلوا بإشاعته بل عليهم أن يردوه إلى الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– وإلى اولي الأمر الذين يعلمون المصالح والمفاسد أهل العلم والعقل والدراية، فإذا راوا المصلحة في إذاعته أذاعوه وإلا لم يذيعوه فالجهل له أثر كبير في الانحراف الفكري واثارة الفتن والضلال

والإضلال، وإنَّ طلب العلم من العلماء الربانيين له اثر كبير في عدم الانحراف، فضلاً عن أثره الكبير في الوقاية من الانحراف الفكري.

خامساً: عدم اتخاذ اولياء من دون المؤمنين:

قال تعالى : **(هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴿١١٩﴾، ينهى الله عبادة المؤمنين من إتخاذ بِطانة من دون المؤمنين، والبِطانة هم خاصة الرجل الذين يطلعون على داخل أمره، فغير المؤمنين يضمرون لهم العداء، فهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي يسعون في مخالفتهم وضررهم بكل ما يمكن، وبما يملكون من المكر والخديعة، وبِطانة الرجل هم أكثر من يعرف عنه وإذا كانوا غير مؤمنين كانوا السبب في أن يفسدوا عليه فكره وأمره كله

فالقرآن ينهانا عن مولاة الكافرين لأنهم كفروا بالله وبنبينا –صلى الله عليه وآله وسلم– ، وبهذا يكون منحرفاً فكرياً عن المسار الصحيح، ويكون سبباً في انحراف من يوإليه ويتبعه، والذي نراه من الانحرافات الفكرية في هذا الزمان هو نتيجة اتباع الكافرين وإتخاذهم اولياء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة على خير خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد ، وعلى اله وصحبه أجمعين .